

برنامج أنوار كاشفة سلسلة الموعظة على الجبل الحلقة السابعة

صديقي المستمع ، يتباهى الكثيرون بأعمال الإحسان التي قاموا أو يقومون بها ، ويعددون الهيئات والأشخاص الذين ساعدوهم ، لا بل يذكرون بفخر واعتزاز مقدار المبالغ التي قدموها . ويعبّر البعض أمام الناس الآخرين عن مدى تدينهم وقيامهم المستمر بأداء واجباتهم الدينية كالصلاة والصوم والذهاب إلى أماكن العبادة .

لعل السؤال الذي يطرح نفسه هو : لماذا يقوم الإنسان بممارسة ما يسمى بالفرائض الدينية من صلاة وصوم وأعمال خير وإحسان ؟ ومن هو الذي يجب أن يعرف بتأديتنا لهذه الواجبات الناس الآخرون أم الله ؟ لقد أجابنا المخلص يسوع المسيح عن هذه التساؤلات من خلال الموعظة على الجبل ، والتي دونها لنا البشير متى في ثلاثة أصحاحات .

وفي الأصحاح السادس من بشارته دون لنا متى ما ذكره المخلص يسوع المسيح حول موضوع الواجبات الدينية . فبدأ المسيح حديثه عن الصدقة أي عمل الخير ، ثم انتقل إلى الصلاة ، وختم بموضوع الصوم . وعلينا أن نلاحظ أن المسيح وجّه كلامه إلى التلاميذ ، ومن خلالهم إلى كل الذين سيؤمنون به في المستقبل .

وبتعبير آخر يجب أن تكون هناك أولاً علاقة شخصية بين الإنسان والله ، لكي يستطيع المرء ممارسة هذه الواجبات . وعليه نقول أنه ليس هدف الفرائض كما يظن الكثيرون أن تقرّبنا من الله ، ولا أن تجعل الله يغفر لنا خطايانا . فقيامي بالفرائض جميعها لا يجعلني مقبولاً لدى الله ، وفي نفس الوقت لا يطهرني من خطاياي . أي أن هناك خطوة أولى وأساسية علي أن أقوم بها قبل أن أبدأ بممارسة هذه الواجبات .

فعلني أن أعترف أولاً أنني إنسان خاطيء وبحاجة إلى الغفران . وأن أتوب عن خطاياي ، وأؤمن بعمل المسيح الكفاري من أجلي على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات . وعندها يغفر الله ذنوبي وأصبح من أولاده وأتأكد أن لي حياة أبدية ، وتصبح لي بالتالي شركة روحية حية مع الله . وكولد الله أتوجه عندئذ نحو أبي السماوي بالصلاة ، وأشعر بحاجتي إلى الصوم للتأكيد على طلبات معينة ، وفي نفس الوقت علي أن أقوم بواجبي في مساعدة الآخرين .

انطلاقاً من هذا المفهوم نستطيع أن نبدأ بالتأمل بما ذكره المخلص المسيح حول موضوع الواجبات الدينية . بدأ المسيح بالحديث عن موضوع الصدقة أو بما نسميها أعمال الخير والإحسان . فحذّر تلاميذه من أن يصنعوا صدقتهم أمام الناس وإلا لن يكون لهم أجر عند أبيهم في السموات . وطالب أن لا يذيع الذي يقوم بالصدقة بما فعله للناس من حوله ، لكي ينال المجد من الناس .

ثم أضاف المسيح قائلاً : " وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك . لكي تكون صدقتك في الخفاء . فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية . " (متى ٦: ٤ و٣) من الواضح أن المخلص المسيح يؤكد هنا على مبدأ أساسي ، وهو أن تكون صدقاتنا وأعمال الخير التي نقوم بها مخفية عن أعين الناس الآخرين ، وإلا لفقدت أهميتها بالنسبة لله . بينما عندما تكون سرية لا بد أن يأتي اليوم الذي يظهر فيه يظهر الله إحساناتنا أمام الآخرين .

بالحق إنه مبدأ قد يصعب علينا نحن البشر تطبيقه في حياتنا . فجميعنا نرغب في أن يعرف الآخرون ما نقوم به من أعمال الخير ومساعدة المحتاجين . لكن عندما نكون من أولاد الله وفي علاقة روحية جيدة مع الله ، فإن هذا الأمر يصبح ممكناً بالنسبة لنا . لأن هدفنا يكون عندئذ هو تمجيد الله في حياتنا وليس تمجيد نفوسنا . أليس هذا صحيحاً يا أعزائي ؟ أو لا نرغب أن نصل إلى هذا المستوى الروحي ؟

انتقل بعدها المسيح للحديث عن الصلاة ، وطبق هنا نفس المبدأ الذي تحدث عنه بالنسبة للصدقة . ومن المعروف أن الصلاة هي علاقة شخصية بين الإنسان والله خالقه . أي لا يوجد أي مبرر لكي يعرف الآخرون عن هذه العلاقة . ولهذا هاجم المسيح أولئك الناس والذين سماهم بالمرائنين ، والذين يحبون عندما يصلوا أن يظهروا ذلك للآخرين . أو ليس هذا ما يفعله الكثيرون يا أعزائي ؟

لهذا قال المخلص المسيح : " وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء . فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية . " (٦: ٦) وهنا يؤكد المسيح على حقيقة هامة أيضاً وهي أن الصلاة المخفية لا بد أن تتعكس على حياة المصلي ، ولا بد أن يلاحظ الآخرون من حولنا أثر الصلاة وعلاقتنا الشخصية مع الله من خلال سلوكنا وتصرفاتنا .

ثم دعا المسيح تلاميذه لكي لا يكرروا الكلام ، وكأنه بكثرة الكلام يستجيب الله لهم . إن الصلاة هي توجه من الإنسان نحو الله عن ثقة وإيمان . وتبدأ الصلاة عادة بالشكر لله على نعمه وبركاته وأهمها هبة الخلاص . ثم يطرح الإنسان حاجاته الخاصة وحاجات أفراد عائلته وحاجات الكنيسة المحلية التي ينتسب إليها . ثم يصلي من أجل امتداد ملكوت الله وانتشار بشارة الإنجيل المفرحة وخلص النفوس . أي أن ينال الكثيرون غفران الله لخطاياهم .

لعل هذا هو هدف الصلاة الربانية التي علمها المسيح لتلاميذه عندئذ ، والتي هو نموذج للصلاة . إذ ليس الهدف أن نردد الصلاة الربانية مجرد ترداد كالبيغاء ، بل أن نصلي بفكر واع

ومن القلب . ونبهنا المخلص المسيح إلى أمر هام يتعلق بنا كمؤمنين بالنسبة للصلاة وهو موضوع الغفران، فقال: " فإنه إن غفرت للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم ."
(متى ٦: ١٤ و ١٥)

فعندما نصلي كيف نتوقع أن يغفر الله خطايانا أو يسامحنا على زلاتنا ، إن لم نغفر نحن للناس أولا زلاتهم نحونا وإساءاتهم لنا. ولهذا طلب منا المخلص المسيح أن نصلي في الصلاة الربانية قائلين : " واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا. " هذه هي قواعد الصلاة وشروطها . فهل ترانا نحاول السلوك على ضوءها ؟ ولم لا نطلب من الله أولا أن يجعلنا من أولاده ، وهكذا نستطيع أن نتوجه نحوه بإيمان وثقة ، ونقيم معه بالتالي علاقة روحية صحيحة.

وتحدث المخلص المسيح أخيراً عن موضوع الصوم ، فأكد نفس المبدأ الذي سبق أن أعلنه بالنسبة لكل من الصدقة والصلاة . أي أن الإنسان عندما يصوم يجب أن لا يظهر للآخرين أنه صائم ، وإلا يكون قد استوفى أجره . ولهذا قال المخلص المسيح : " وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك . لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية." (متى ٦: ١٧ و ١٨)

وكما ذكرنا قبل قليل فإن هدف الصوم هو التأكيد على طلبات معينة نريد من الله أن يستجيبها لنا . وبالصوم ندلل أجسادنا ونبتعد عن مشاغلنا وهمومنا اليومية ، ونتقرب كمؤمنين من الله . لكن ليس القصد من الصوم أو الصلاة والصدقات ، كما قد يظن البعض هو نوال رضى الله وغفرانه . لأننا نحصل على غفران الله كما ذكرنا في بداية حلقة اليوم فقط عن طريق التوبة والإيمان بشخص المخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلنا على الصليب .

صديقي المستمع : إن الإنسان الذي يصبح من أولاد الله ، تغدو هذه التي نسميها بالواجبات الدينية جزء لا يتجزأ من حياته . فهي ليست واجبات بالنسبة له، بل حياة يعيشها. فكما نأكل ونشرب لكي ننمي أجسادنا هكذا المؤمن عليه أن ينمو في حياته الروحية عن طريق الصلاة والصوم وأعمال الإحسان، وأيضا بالأساس عن طريق قراءته المستمرة لكلمة الله الحية التي هي الدليل لحياته اليومية .

أليس أمرا جميلا أن نتال الغفران عن خطاياك يا صديقي وأن تصبح من أولاد الله؟ أو ليس أمرا مهما أيضا أن تعيش حياتك لله خالقك وأن تمجده في أعمالك وتصرفاتك؟